



الفصل الرابع

الثقافة

عندما تصبح المكتبة ضرورة
كالطاولة والسرير والكراسي
والمطبخ، عندئذ يمكن أن نقول:
إننا أصبحنا قومًا متحضرين.

ميخائيل نعيمة

من أسباب نجاحي

مضت ثمانية أعوام منذ زيارة أحمد الأولى لعمه في الغاط، وفي هذا اليوم وصل أحمد إلى مزرعة عمه بعد ظهر يوم حار من شهر أغسطس، وجده جالسًا في ظل نخلة وفي يده كتاب، كان أحمد يحثّ الخطي لمقابلة عمه، وقد ارتسمت على محياه علامات البشر والسعادة، قبل رأس عمه، وجلس بجانبه وفي يده كيس ناوله عمه، ثم قال:

- أسعد الله مساءك أيها الحكيم، كم أنا سعيد بوجود شخص مثلك أثرى حياتي، وجعل لها معنى، كم من المتغيرات مرّت عليّ منذ تقابلنا في هذا المكان، كنت أعيش في متاهة بين الجهل وتدمير الذات، كنت أعتقد أن أفضل شيء في الحياة هو اللهو والسهر والكسل في انتظار اليوم الثاني لمزيد من المتع المؤقتة، كنت أمشي في الحياة معصوب العينين، تمرّ من أمامي الفرص، ولا أراها، عشت في بيئة كلها مستنقعات آسنة، مع وجود

بحيرات جميلة نظيفة على الجانب الآخر من الحياة، حجب رؤيتها غبار كثيف هو مزيج من مخلفات الماضي وإخفاقات الحاضر، كنت أستخدم نتاج الحضارة للهو فقط دون أن أعي كيف تم إنتاجها.

- مهلاً يا أحمد، يبدو أن في جعبتك أشياء كثيرة تريد أن تخبرني بها، هل أنجزت هدفك الذي كتبت، وأطلعني عليه؟

- حققته يا عمي، بفضل الله ثم بفضل دعمك وتشجيعك ومؤازرتك حصلت على الشهادة الجامعية بتقدير ممتاز على الرغم من أنني كنت أعمل في الصباح، وأدرس في المساء، وليتك كنت معي لتسمع كلمات الشئ والتشجيع من الأساتذة ومن عميد الكلية ومن مدير الجامعة، خطئي الكبير أنني لم أوجه الدعوة لك لحضور المناسبة، بودي لو رأيت أبي وهو يحتضني ودموع الفرح تبلل وجهه المشرق.

- أشكرك يا أحمد، على شعورك وعلى إسعادي بهذه الأخبار المفرحة.

- هل تصدق يا عمي، أنهم عرضوا علي فرصة مواصلة دراستي العليا، وفي العمل وعدوني بترقية إلى مرتبة أعلى في أحد الفروع، لم أنسَ فضلك علي، فقد تردد اسمك بين جنات الجامعة، حين طلبوا مني أن ألقى كلمة الخريجين، قلت لهم: في هذه الحياة لا شيء مستحيل «إذا وجدت الرغبة والإرادة فهناك أكثر من طريقة لتحقيق النجاح، كنت أعيش في ظلام

دامس حتى قىض الله لي قريباً أنارلي الطريق» وقد صفق الجميع، حين نطقت باسمك، قلت لهم أيضاً: «أصعب درجات النجاح بداياتها، وأجمل ما في النجاح أن تشرك الآخرين معك».

- أبارك لك يا أحمد، وسبق أن قلت لك: «لا حدود للنجاح» وقد اشتقت لأعرف ما في هذا الكيس؟

- هدية بسيطة أقدمها لك علامة الحب والامتنان، أرجو أن تقبلها من ابنك الصغير، ومعها خطاب اجتهدت في كتابته لعلّي أردّ لك بعض الجميل.

- جميلك يا أحمد، وصلني منذ زيارتك الأولى، كنت أسعد بكل زيارة منك، كنت تشعرني بصدق ما أؤمن به، وما كنت أنادي به في كل محاضرة، كم أفرحتني وزدتني حماساً لأقول لك كل ما أستطيع، سوف أجعل من قصة نجاحك مثلاً لأضربه لكل من أحدثه عن النجاح، وقد أكتب كتاباً عن هذه التجربة الجميلة، سوف أحدثك عن بعض ما تعلمته من قراءاتي ودراساتي خارج المملكة بعد أن نتناول الغداء.

إذا كان لقاءك بي هو نقطة التحوّل في حياتك، فإن التحاقني بالشركة كان نقطة التحول في حياتي، كنت أسأل دائماً: لماذا ينتج الآخرون ويبدعون، ونحن لا نتج ولا نبدع؟ بدأت أتتبع أسباب نجاحهم، فوجدت أن سببه ثقافة مختلفة، ثقافة تخاطب العقل، وتحترم

الفكر الحر، وتعطي مساحة أكبر للإبداع، وتشجع على العمل الجماعي المفيد، وتزرع ميزة الصبر وحب العمل وروح الفريق منذ الصغر.

مرونة التفكير وبحثي عن ثقافة مختلفة كانت من أهم أسباب نجاحي في الحياة، أعزو لها بعد الله سبحانه وتعالى الكثير مما أصبت من خيرات. لم أتعلم ما تعلمته بين يوم وليلة، لكنها التجارب والقراءات والدراسات، والتفكير والمقارنة.

الثقافة هي المحرك الأساس لكثير مما نقوم به في حياتنا الخاصة أو العامة، وللثقافة تعريفات كثيرة تقارب المتتي تعريف، لكنها بكل بساطة هي ما نؤمن به من قيم ومبادئ ومعتقدات، وما نتقنه من علوم وفنون، وما نطبقه من أنظمة، إنها المحرك للكثير مما نعمل، وننجز.

تعلمت ثقافة تختلف عما تعلمته في البيت والمدرسة والشارع، ثقافة عالمية هي مزيج من فهم أفضل للدين، وأخذ أحسن ما لدى الآخرين، واعتدال ومرونة في التفكير، وتحليل عقلائي لكثير مما في الحياة، وإيمان بأن العلم هو أفضل الطرق وأقصرها لحل الكثير من المصاعب.

ثقافة جعلت فكري متفتحاً لكل جديد، قابلاً لكل نقد بناء هادف، ثقافة جعلتني أعيش في سلام مع نفسي ومع الآخر، وأردد دائماً أن القارب يتسع للجميع على الرغم من تعدد الآراء والمصالح، سواء أكان ما يجمعنا بيت صغير، أو مكان عمل، أو مضمار سباق أو غداء على حبة قمح أو وطن، أو عالم كبير حدوده أطراف الكرة

الأرضية. ثقافة تقول: إن التعدد في الفكر والرأي نعمة تزيدنا قوة وتثري حياتنا، ثقافة تقول: إن التعنصر أو الإقصاء على أي أساس سواء أكان قبلياً أو مناطقياً أو مذهبياً ما هو إلا تشويه للدين وسماحته ومعمل هدم لسفينة الوطن وللسلم العالمي بشكل عام.

- لكن الاختلاف يا عم، يؤدي إلى الفرقة، والفرقة تؤدي إلى الاحتراب، وهو ما نشهده بين المسلمين اليوم.

- الدين حذر من الفرقة لضررها البالغ، ولم يحذر من الاختلاف، بل إن الاختلاف من سنن الكون، ولكن من المتنطعين من يحصرون الحقيقة فيما عندهم فقط، ويعدون كل مخالف عدوًّا لهم، ولذلك يشنون الحروب والعداوات على المذاهب الأخرى، ولو تتبعنا آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ لوجدنا أن الاختلاف موجود منذ وجد الإنسان، وسيظل إلى يوم القيامة، ويدرك كل عاقل أن هذا هو وقت التغيير والإصلاح، وهذا من أهم رسائل الدين، حين قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، ومن المتنطعين من يحتج بحديث النبي وهو: «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة» وفي هذا الحديث ضعف من جهة ثبوته عن النبي، ولو أقرنا بثبوته فلا يُقرّ لأي أحد أن يجعل نفسه هو الفرقة الناجية.

تعلمت ثقافة تقر بأن الاهتمام بالإنسان تربية وتعليمًا وصحة هو أسهل الطرق للحاق بركب الدول المتقدمة، ثقافة زودتني بالكثير

من القيم التي أعانني على النجاح، ومن أهمها الاستقامة والصدق والأمانة والحب وتقديس العمل وإتقانه واحترام الوقت واستثماره.

ثقافة تدفع لمزيد من الإنجاز والنجاح، وترسخ مفهوم أنه لا حدود لقدراتنا وإنجازاتنا سوى ما نضعه نحن من قيود. ثقافة تحفز على روح المغامرة، وتفتح عقولنا لسماع المزيد والجديد.

لولا روح المغامرة التي لدى الإنسان لما خرج من كهفه شبه عارٍ ليصنع المعجزات، حب المغامرة هو الذي دفع الإنسان ليصعد إلى الفضاء، ويكتشف القارات الجديدة، ويحقق الفتوحات الكثيرة في شتى مجالات الحياة.

في محاضراتي أحثّ كل طالب مبتعث أو سائح في بلاد الله الواسعة أن يحاول التعرف إلى ثقافة البلد الذي يذهب إليه، ما مبادئه وقيمه؟ ما نظامه السياسي والاجتماعي والاقتصادي، وكيف يستثمر أفراداه أوقاتهم، وكيف يؤدون أعمالهم؟ وكيف يربون أبناءهم؟ وما نظام تعليمهم؟ وكيف التعامل بينهم؟

- كيف أعرف عاداتهم وتقاليدهم وكل جميل في ثقافتهم، وأنا لا أحتك بهم، ولا أعرف كيف أزورهم في بيوتهم؟

- كنت أحثّ الطلبة على السكن لدى الأسر بدلاً من السكن وحدهم أو بعضهم مع بعض، وخاصة في مرحلة تعلم اللغة، حيث يتعلم الطالب الكثير من الانضباط وأهمية التوفير، واحترام

الوقت وتعلم كلمات المجاملة التي تدل على احترام المخاطب، مع قضاء الإجازات بعيداً عن المدن الكبيرة الصاخبة، وأن يشاركوا في الأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية والعلمية، خاصة تلك التي تقام في المعاهد والجامعات.

أحث الطلبة المبتعثين، وطلبة الجامعات على العمل في أثناء الدراسة ساعات معينة كل أسبوع، والانخراط في برامج التطوع وخدمة المجتمع حتى إذا تخرجوا ينشرون هذه القيم بين مواطنيهم، فلدى الدول المتقدمة ثقافة تختلف كثيراً عما لدى الدول النامية. وهذا ما أحاول أن أقوله في كل مناسبة: خذوا أفضل ما لديهم من ثقافة، ودعوا السيئ منها، فلكل مجتمع حسنه وسيئاته. ثقافة منتجة مبدعة أهم من شهادات متشابهة مكررة.



هل كل ما في ثقافتنا جميل؟

- أراك تسترسل في الحديث عن الثقافة كثيرًا هذا اليوم.

- نجاحك يا أحمد، يغريني بالتحدث إليك عن المزيد من أدوات النجاح، عليك أن تكون ناقدًا لما تراه في مجتمعك ومؤثرًا فيه، فالإنسان يعيش خليطًا من العادات الحسنة والسيئة، ويمارس أفعالًا مفيدة ومضرة، سواء في العالم المتقدم أو النامي، لكن الفرق هو أنه في العالم المتقدم كل شيء قابل للنقد والتصحيح، أما في العالم النامي فكثير من العادات تأخذ منزلة القداسة، أو توظف للمصالح الخاصة، وهذا يصعب من مهمة تغييرها، فنحن على سبيل المثال لا نربي أبناءنا كما يجب، ولا نعلمهم في المدارس كما هو مطلوب، ولا يحترم بعضنا بعضًا كما أمرنا الدين، ناهيك عن احترام الآخر، نمنّ على بعضنا بالابتسام، ولا نعطي ذوي الإعاقة ما يستحقونه من خدمة وعناية، وما للمرأة من حقوق، نفرّق بين الناس على أساس اللون والعرق والمذهب، نعبث بالبيئة، ولا نحترمها، ولا نقيم وزنًا للحدائق، بل نصادرهما، ونحيلها إلى مساكن ومتاجر، ونحيل الأودية إلى مخططات، ونداوم على الوجبات السريعة والمشروبات الغازية، ولا نمارس الرياضة، ولا نعرف قيمة التوفير والادخار في حياتنا، نردد أمثلة قالها من قبلنا لأغراض السجع فقط، فصدقناه، كقولنا: «اصرف ما في الجيب يأتك ما في الغيب»، ولو تدبرناه جيدًا لوجدناه

مضللاً وغير صحيح، والأولى أن يقال: «استثمر ما في الجيب يأتك ما في الغيب». وقد تكون هذه الأمثال وضعت لزمن انتهى، فالإشكالية حين نقرأ الأمثال بصفقتها متعالية على التاريخ الذي قُرئت به في تلك الحقبة، لذا فمن واجبنا أن نخضع الأمثال لنهج تاريخي يعيدها إلى ظرفها الذي توقفت عنده، ويخضع بعضها الآخر لقراءة أخرى تفككها، وتجعلها أكثر حداثة.

- أراك يا عم، تقسو كثيراً على ثقافتنا، وتثني كثيراً على ثقافتهم.
- الحكم بيننا يا أحمد، النتائج، هم يتتجون ونحن نستهلك، ويبيعوننا نتاج عقولهم، فنقايضها بنتاج حقولنا من ثروة ناضبة.
- أحياناً يصيبني اليأس، حين أرى مقدار تخلفنا في كثير من الأمور يا عم.

- صدقت يصيبني هذا الشعور أحياناً، لكنني أتذكر المثل الذي يقول: «الشيء الوحيد في العالم الذي تستطيع تغييره هو أنت»، وحين تتغير للأحسن تصنع عالماً أفضل، يجب ألا يكون لليأس مكان في حياتنا، المستقبل يصنعه المتفائلون الذين يرون أنواراً بعيدة لا يراها المتشائمون.

- أريد أن أسألك يا عم: هل أنت راضٍ عن كل ما يجري في حياتك، وما أنجزته خلال عمرك المديد؟

- لا، لست راضياً تمام الرضا، لكنني أحمد الله على ما قمت به من تغييرات كثيرة أثرت حياتي، وجعلت لها معنى، كان من الممكن أن أصيب نجاحاً أكثر، تذكر أنه مهما بلغ الإنسان من النجاح فإن لديه مجالاً أرحب للتغيير، لكن التغيير لا يتم إلا بوعي وإرادة قوية تنبع من الداخل لتضيء لك طريق التغيير نحو الأحسن، ومن أهم شروطها ألا ترضى بما هو كائن، وأن تجتهد لتغييره للأحسن، خذ على سبيل المثال: التعامل مع المرأة يختلف بحسب ثقافة المجتمع، المجتمعات الجاهلة تضعها في مرتبة أقل من الرجل، متناسين أنها الأم والأخت والزوجة ومربية الأجيال وقدوتهم، وتشكل نصف المجتمع، إذا أضعفناها أضعفنا كل الأمة، وإذا حقرونها حقروا الجميع، فالمرأة الضعيفة عالة على نفسها وعلى زوجها، وتربي أطفالاً ضعفاء غير منضبطين، يفتقدون التربية السليمة القوية.

علينا أن نركز على العادات والقيم التي تحث على البناء والتعاون ونبذ الفرقة والتناحر، أعظم استثمار يمكن أن تقوم به للمستقبل يبدأ بالأسرة أولاً.

- ولكن ألا ترى يا عمي، أنك تقسو قليلاً على ثقافتنا وما بها من ممارسات جميلة؟

- النقد يا أحمد، يختلف عن جلد الذات، ويختلف عن الشماتة، فالمرضى الذي لا يعترف بمرضه من الصعوبة أن يتقبل

العلاج، وأهم خطوات العلاج هي في تحديد نوع المرض ومسبباته، ودون ذلك لن يكتب لكل محاولتنا النجاح، العالم العربي والإسلامي لم يتقدم كبقية الأمم لأنه لم يتوصل لأسباب المرض بعد، وسيظل في صراع مع نفسه ومع الآخر حتى يشخص المرض بكل أمانة ودقة، بعدها يسهل العلاج، وهنا أحيلك يا أحمد، إلى كتاب جميل هو (العرب من وجهة نظر يابانية) للمستشرق الياباني نوبوأكي نوتوهارا.

- لنجدد النشاط يا أحمد، دعنا نذهب إلى البيت، ونتناول الغداء، بعده نكمل الحديث، فقد شوقتني لمزيد من الحوار.



غير عاداتك تتغير حياتك

تبدأ العادة كخيوط رقيق لا يرى،
ومع تكرار الفعل يزداد الخيط
قوة، ومتانة حتى يصبح حبلاً
قوياً لا نستطيع الفكك منه.

أوريسون سويت ماردين

العادة يا أحمد، تحفر مسارها، وتتخذ مكانها في تلايف المخ،
يؤديها الإنسان دون تفكير أو تمحيص، وقد قرأت منذ مدة طويلة
وصفاً للعادة الضارة، إذ شبهها الكاتب بالظفر المصاب يبقى في مكانه
حتى ينبت ظفر سليم يدفعه، ويحل محله، فإذا أردت أن تتخلص من
عادة ضارة أو مثبطة فالأسهل هو أن تكسب عادة تحل محلها، فعلى
سبيل المثال يضيع الكثير من الوقت سدى كالجلوس أمام التلفاز أو
تصفح الإنترنت، أو الجلوس في المقهى أو الاستراحة مع الزملاء، ومن
الصعوبة أن تقاوم متعة الذهاب إلى تلك الأماكن والالتقاء بزملائك
القدامى إلا بعد جهد ومقاومة وإيجاد بدائل مفيدة وممتعة، وقد مررت
بمثل تلك التجارب، خصوصاً في إجازات نهاية الأسبوع.

عليك أن تستبدل عادة بعادة، فتستبدل بعادة التسويف وبسماح
الأحاديث المكررة عادة القراءة والرياضة والبحث عن المفيد في
الشبكة العنكبوتية، قلل من ارتياد المقاهي والذهاب إلى المناسبات
غير المفيدة، واستبدل بها قضاء وقت أكثر مع الأسرة. استبدل بضياح

الوقت استثماره، وبحديث الناس المكرر أفكار العباقرة، وسير الناجحين التي أودعوها سيرهم الذاتية.

هل تدري يا أحمد، أن علماء النفس يقولون: إن تسعين في المئة من سلوكنا ينشأ بحكم العادة، من أراد أن يغير سلوكه فعليه أن يراجع عاداته، ويبدأ بتغييرها إلى عادات جديدة حسنة.

- لكن ما الذي يجعل الناس تتمسك بعادات تستهلك الصحة والمال وضد النجاح؟

- الجهل يا أحمد، ثم إن البرمجة منذ الصغر تحيل العادات الذميمة إلى عادات مقبولة غير قابلة للنقد، والكثير من العادات تعطي متعة مؤقتة، ولا تظهر نتائجها المدمرة إلا بعد وقت طويل من ممارستها، العادات المضرة ندفع ثمنها غالباً ولو بعد حين.

أريدك يا أحمد، أن تقرأ بصوت مرتفع هذه العبارة من كتاب (أيقظ قواك الخفية) لانتوني روبنز.

تناول أحمد الكتاب، وبدأ يقرأ العبارة الآتية: «ليس هناك ما يعجز التمرين عن أدائه، ليس هناك ما لا يستطيع تجاوزه، إنه يستطيع أن يحول الأخلاق السيئة إلى حسنة، ويمكنه أن ينسف المبادئ السيئة، ويخلق مبادئ حسنة، إنه يستطيع أن يرفع مستوى البشر، بحيث يصلون إلى أعلى مستوى يمكن للإنسان أن يصل إليه».

هذا الكلام صحيح ومثال على ذلك ما نراه في السيرك من حركات لا تصدق في براعتها وخطورتها، وما نرى من تدريب

عجيب للحيوانات المشاركة، وما نراه من حركات تقوم بها الدلافين مع السباحين، والسبب هو التكرار والمكافأة بعد كل إنجاز؛ لذا لا تيأس، ولا تعد أدراجك حين تسقط من أول محاولة، بل تأمل أسباب السقوط ثم واصل، كافئ نفسك على كل بداية ناجحة، وأجزل الشناء على نفسك بعد كل عمل وكل محاولة سواء أنجحت أم لم تنجح إلى أن تحفر العادة الجديدة مسارها في الخلايا العصبية من المخ، ثم تصبح جزءاً من السلوك. أكثر الذين يعودون لعاداتهم القديمة إما أنهم استعجلوا النتائج، أو أنهم لم يبحثوا عن بدائل بحثاً جاداً، أو أنهم غير مقتنعين بما تسببه لهم عاداتهم القديمة من أضرار، وما تجلبه العادات الجيدة من مكاسب.

أراك تغيرت يا أحمد، في أمور كثيرة أجد فرقاً كبيراً بين وضعك في زيارتك الأولى ووضعك في هذه الزيارة، وحين يتغير شخص واحد يتغير في العالم أمور كثيرة، سيمتد تأثيرك الإيجابي للأسرة والعمل والمجتمع. حين نكون أفضل يصبح العالم أفضل، ويمكن أن نكون قدوة لغيرنا من شعوب العالم خلقاً وإنتاجاً ومساعدة لغيرنا من الشعوب، يمكن أن نجعل بلادنا من أفضل بلاد العالم، يمكن أن تسكن بيوتنا المحبة والسكينة، لو استثمرنا هذا الوقت الثمين بما هو مفيد من عمل وبناء، ولو نشرنا مبادئ المحبة والتعاون والابتسام في وجوه الآخرين بدل الكره والغضب والعبوس، لو علمنا أطفالنا كيف يقولون: «شكراً» لكل من يسدي لهم عملاً، وكلمة «لو

سمحت» لكل من يطلبون منه شيئاً لتحسنت علاقتهم مع غيرهم، كلمات بسيطة، لكنها مؤثرة تقرب بين الناس، وتنشر المحبة. هذا الجفاء الذي نعيشه ليس بسبب الأحوال الجوية ولا بسبب الجينات، ولكنها الثقافة والتربية والعادات التي نكتسبها في حياتنا.

يقول أحد المقلعين عن التدخين: كنت أعتقد أنني لن أنخلي عن السيجارة إلى آخر العمر لظني أنها مصدر المتعة في حياتي، حتى دخلت عليّ ابنتي الصغيرة ذات يوم وقالت: أبي، لا أريدك أن تقتل نفسك، قلت لها: لن أقتل نفسي، لكنها أشارت إلى السيجارة المشتعلة، وقالت: هذه ستقتلك، ولا أريدك أن تموت، أريدك أن تحضر زواجي بعد عشرين عاماً، عندها تركت السيجارة في الحال، ولم أعد لها بعد ذلك اليوم.

الله سبحانه أعطانا العقل لنستخدمه، وطلب منا أن نأخذ بالأسباب، ونتوخى الحذر، وإلا ما فائدة تعليمات السلامة التي كانت سبباً في حماية ملايين الأرواح في البر والبحر والجو، نحن في حاجة إلى ثقافة مختلفة. نقد الكثير من أفكارنا هو الخطوة الأولى للبدء في التغيير الحقيقي والدائم في حياتنا.

سأتركك تنام الليلة باكراً، فغداً سوف يكون لنا برنامج مختلف وطريق نسلكه لأول مرة، ثم نستكمل الحديث عن النجاح وأسبابه.



ابحث عن السبب

أيقظ العم أحمد، وجهزا لوازم الرحلة، صليبا الفجر، وشربا الكثير من الماء، تناول العم تفاحة، وأعطى ثانية لأحمد، أحضر العم دراجتين هوائيتين، وأخبر أحمد بأنهما سيتجهان إلى المتنزه الوطني الذي بدأ بجهود ذاتية حتى أصبح معلما جميلا من معالم الغاط ورثة يتنفسها الأهالي ومصدر رزق يفد إليه السائحون من كل مكان.

- هل يعقل أن نصل إلى هناك مستخدمين الدراجة الهوائية؟ لماذا لا نختصر الوقت والجهد، ونستخدم السيارة؟

- ركوب الدراجة جزء من المتعة، الدراجة الهوائية صديقة البيئة، ومن أفضل الرياضات التي تهتم بها شعوب الدول المتقدمة، قد لا تستسيغ الفكرة في البداية، لكنني على يقين أنها ستعجبك فيما بعد.

سارا إلى المتنزه بهمة ونشاط، التفت العم إلى أحمد، وقال له: ألا ترى الفرق الكبير بين هذا الوادي الذي تمت حمايته من الرعي والاحتطاب وبين الأودية الأخرى التي أهملت، وعريت من أهم مصادرها؟

- بلى، يا عم، أجد فرقاً كبيراً، ما أراه أمام عيني شيء لا يصدق، انظر إلى أشجاره الملتفة وإلى روائح الزهر تحتفي بنا، يكفي أن نستظل تحت هذه الشجرة والطيور فوقنا تغني بحبور، أشكرك

- يا عم، على هذه الرحلة الجميلة، في المرة القادمة سوف أقضي فيها يوماً كاملاً مع أسرتي، لكن حدثني كيف أبقيتم عليها نظيفة، وكيف سلمت من عبث أعداء البيئة والجاهلين بأهمية الشجرة؟
- لقد أشركنا المجتمع المدني، وأشر كنا طلبة المدارس في زراعة الشجرة والمساهمة في تنظيف المكان، أشعرناهم بأن المتنزه لهم، وأن الشجرة صديقهم ضد التلوث والتصحر والجفاف، لقد كان جهداً مشتركاً بين الجهات الحكومية والمتطوعين من أبناء البلدة، الأيدي الطيبة تسارع للمشاركة في البناء.
- أتمنى يا عم، لو تتاح الفرصة لكل محافظ مدينة وكل رئيس مركز وكل مسؤول في الزراعة والبلدية أن يزور هذا المكان ليستفيد من تجربتكم الناجحة.
- شكراً لك يا أحمد، والأمل في الله ثم فيكم لتكملوا المسيرة، اليوم يا أحمد، سأحدثك عن مشكلة حدثت لأستاذ ناجح، حينما كان يدرّس في المرحلة الثانوية، يقول ذلك الأستاذ المتميز: مررت بفترة مراهقة صعبة كادت تأخذني إلى مهاوي الردى، وأهملت الدراسة، وتدنى عطائي في أكثر المواد، صرت أكثر من الخروج من البيت وطلب المال بشكل متكرر، وكنت ألح على والديّ، وعلى أُمي بشكل خاص لشراء سيارة جديدة بمواصفات معينة، على الرغم من علمي بعدم قدرتهم المادية على ذلك.

وقد كان لوالدي صديق حكيم نصحه بما يأتي: حل أي مشكلة يبدأ من داخلها، لا بد من جمع المعلومات عن المشكلة، أسئلة مهمة تبدأ بأين ومتى وكيف ولماذا؟ ثم القيام بتحليل المعلومات ومحاولة معرفة الأسباب الحقيقية للمشكلة، بعدها توضع خطة لعلاجها. وللحصول على المعلومات الكافية لا بد من الاستعانة بكل من له علاقة بصاحب المشكلة، والبيئة المحيطة، كالبيت والأصدقاء والمدرسة.

- هذه مشكلة صعبة يا عم، الأبناء أغلى ما نملك، وكل ما يصيبهم يصيبنا.

- صدقت، ولكل مشكلة حل، لكن غياب التفكير العلمي وعدم وضع مختلف الاحتمالات يقلل من فرص نجاح حلها، ويجعلنا نعزو المشكلة إلى سبب واحد نأخذ، ونسلم بصحته، كقولنا: إن السبب فترة المراهقة، أو إنها عين أصابته، نكتفي باستنتاجات لا تستند إلى دراسة متأنية، ونحاول حل المشكلة بناء على هذه الاستنتاجات، أو أن نستسلم، ونتركها للزمن ظانين أنه كفيل بحلها، من أهم الأسئلة التي يجب أن نبحث عن إجابة لها هي: متى بدأت التغيرات؟، وما الظروف المحيطة بها؟ وما رأي المختص؟

دعني أعُد إلى ذلك الأستاذ ليكمل قصته، يقول: بعد تحليل الكثير من المعلومات، وزيارة والدي للمدرسة، وجد أن أحد زملائي أثر في كثيرًا، وكدت بسببه أترك المدرسة التي اختارها لي والدي بكل

عناية إلى مدرسة أخرى، كان ذلك الصديق يملئ عليّ الكثير من الأفكار والتصرفات التي لم تكن موجودة عندي قبل التعرف إليه.

- لماذا يثق الابن أو البنت في هذه السن بأصدقائه أكثر من ثقته بوالديه ومعلميه؟

- السبب يا أحمد، هو تلك الأسوار الوهمية التي تبعدنا عن أبنائنا، وتبعد المعلم عن طلبته؛ لذا يلجؤون إلى زملائهم، فيجدون الصدر الرحب والوقت الممتع، ومعه يبدأ التأثير، وكل قرين بالمقارن يقتدي.

- يقول الأستاذ: أول الحلول وأبسطها التي اتخذها والذي وبمساعدة صديقه هو القرب مني وتخفيزي، التحفيز والتشجيع جعلني أزداد قرباً من والدي، لقد كان أفضل سلاح فعال للتعامل مع حالتي تلك، كان والدي ووالدي يمتدحاني على كل عمل أقوم به. أحضرت لهم ذات مرة نتائج إحدى المواد، وكانت عشر علامات من عشرين علامة، كنت خائفاً متوجساً من ثورة أبي، لكنه فاجأني بقوله: في هذه الورقة عشر إجابات صحيحة، قلت على استحياء: لكن هناك عشر إجابات خاطئة، قال لي: أنا لا أرى سوى تلك الإجابات الصحيحة، شجعاني وحاولا إبعادني عن زميلي وصديقي الذي كنت أظنه وفيّاً، والذي كان حجر عثرة أمام تقدمي ونجاحي، وكان من أهم أسباب التغيير السلبي الذي طرأ على سلوكي، قال لي والدي: يجب أن تكون ذا رأي في

اتخاذ القرارات وإعادة بلورتها، ومن ثم صقل معرفتك لتكون مبادلاً للتأثير، وفي أحيان كثيرة عليك أن تأخذ زمام القيادة، وعليك أن تتعلم كيف تقول: (لا) بكل ثقة، النجاح والفشل طريقان متقاربان متشابهان، فعليك أن تختار الطريق المؤدي إلى النجاح، ولن تجد أصدق ولا أحرص من والديك على مصلحتك فاستمع لهما جيداً.

بدأ الوالدان ينتهجان أسلوباً جديداً في تعاملهما معي فيه الكثير من التشجيع والمواظرة والمتابعة، بدأ العام الجديد وفيه صرت شخصاً مختلفاً تماماً، في سلوكي وإنتاجي، بدأ التغيير الجذري منذ لحظة تركي لصديقي القديم، لم أعد لسابق عهدي فقط، بل تعديته بمرحلة، استثمرت وقت فراغي بكل همّة ونشاط، تحسنت علاقتي مع الجميع، وسرت في روح حب العمل والنجاح وحب الآخرين، بدأت برسم الهدف لما بعد المرحلة الثانوية، وهو أن أصبح أستاذاً في الجامعة التي أحببتها، وضعت الخطط وبدأت في تطبيقها، تذوقت طعم النجاح ومن يتذوقه فلن يرضى عنه بديلاً، لقد استفدت من هذه التجربة، وحققت هدفي، وصرت أساعد الكثير من الطلبة المتعثرين، وأحذرهم من أصدقاء السوء.

- لكن علينا ألا نستبعد السحر والعين يا عم، من دراستنا للمشكلة؟

- العين والسحر يظهران حين يغيب البحث العلمي الجاد؛ لذا تجدهما بكثرة في البيئة الجاهلة التي يكثر فيها الدجالون

والمتفعون والمتاجرون بصحة الناس، كنت أستمع بالأمس في الإذاعة إلى مأساة امرأة تتحدث في أحد البرامج الاجتماعية إلى المذيعة، وتخبرها كيف فقدت ابنتها الصغيرة في حادث مأساوي، حينما تعرضت لتيار كهربائي نتيجة أحد الأسلاك المكشوفة في المنزل، وعزت الأم السبب إلى زيارة جارتهم التي لم ترزق بنات على الرغم من حبها الشديد للبنات وتحسرها دائماً على ذلك، وأنه حال خروج تلك السيدة توفيت تلك الطفلة نتيجة ذلك الحادث المأساوي، وتوالت الردود من المستمعين وكلهم يؤيد ما ذهبت إليه تلك المرأة، ومنهم المذيعة التي تعاطفت معها، ولم يقل أحد منهم: إن السبب الرئيس هو إهمال وسائل السلامة، وكما هو في قانون مرني: «إذا كان هناك مجال للخطأ فسيحدث لا محالة» وسؤالي هو: كيف سنعرف الأسباب الحقيقية لما يحدث لنا؟ وكيف تنفادها في المرات القادمة إذا كنا سنعزو كل ما يصيبنا من مأسٍ لقوى خارج إرادتنا، ونعفي أنفسنا من تحمل المسؤولية ومن تصحيح الخطأ؟ إثارة الأسئلة وتحليل الموقف والبحث عن حلول غير تقليدية قد تفتح لنا أبواباً كثيرة، التفكير خارج المألوف يجعلنا متميزين، وهنا تكمن قدرة الإنسان على التغلب على الصعاب.

ستكون القيم وأهميتها لتقدم الأمم آخر ما نتحدث عنه في هذا اليوم، وقبل أن نعود أدرأجنا إلى السفح.



القيم طوق النجاة

لقد نحتت القيم على النصب
التذكارية، وورد ذكرها في
المخطوطات التاريخية المزخرفة،
فلسنا في حاجة إلى المزيد من
ذلك، ولكن من الواجب علينا
تطبيق هذه القيم في حياتنا ومن
خلال تصرفاتنا.

جون دبليو جاردنر

كل إنسان في هذه الحياة لديه قيم يؤمن بها، ويسعى جاهداً
لنشرها والدفاع عنها، من الناس من يؤمن بالاستقامة والتسامح
والاحترام ومحاربة الكذب، ومنهم من يرى أن كسب المال هو أهم
شيء في الحياة، فيسعى لكسبه بشتى الطرق، حتى ولو كان على
حساب أمانته وأسرته وصحته، ليكن لديك يا أحمد، قيم تنير طريقك
في الحياة، وتحميك من الزلل ومن الوقوع في المحرمات.

لقد جاء اسم القيم من القيمة، وهي تقدير قيمة الشيء، وما
أعنيه بالقيم هي تلك المعتقدات والاتجاهات والميول التي يمارسها
الإنسان، ويؤمن بصحتها، ويسعى لتحقيقها في حياته، كالاستقامة
والحب والتسامح والحرية والاحترام، بحيث يتمسك بها، وتصبح
بوصلة تحدد مسار المرء واهتماماته.

- أليست القيم ثابتة، وتتوارثها الأجيال منذ القدم؟

- القيم معروفة منذ القدم، لكن الاختلاف في تطبيقها من شعب لآخر ومن شخص لآخر، من عاش بقيم سامية نجا، ومن عاش بلا قيم تحميه وتدفعه للأمام وقع في الكثير من الأخطاء، وتخلف عن ركب الناجحين، وكل القادة الذين أسهموا في تحرير شعوبهم، أو أقاموا الصروح الكبيرة في بلادهم لديهم قيم تدفعهم لذلك، فالمعلم الذي يمضي معظم وقته مع طلبته، ويذل الغالي والرخيص في سبيل تعليمهم، وفي سبيل زرع العادات التي تجعلهم مواطنين صالحين لم يكن دافعه المال، بل يؤمن بقيمة ما يقوم به، ويجد لذة في أدائه، والمصلح الذي يتعرض لأذى السجن أو النفي أو الفصل من الوظيفة يؤمن بما يقوم به، ولذا يستهين بكل ما يعترض سبيله، وعلى النقيض من ذلك من يفتقر إلى القيم السامية، نجد أنه يتخبط كثيراً في حياته؛ لأنه يعيش في فراغ روحي قد يلجئه إلى إدمان المخدرات أو الإسراف في الأكل والشرب، وقد يسيء معاملة من حوله.

- وما القيم التي تهتم بها يا عم؟
- إنها كثيرة، لكنني أضع الاستقامة في سلم الأولويات، والسبب أن من يفقد الاستقامة يفقد ما عداها، بل يصبح عائلاً على أهله ووطنه، والقيمة الثانية هي الحب، فهو مصدر سعادتي وجواز دخولي إلى قلوب الآخرين، أما القيمة الثالثة فهي الاحترام،

وأعني بها احترام الجميع، سواء كانوا من الأقارب أو الزملاء وكل من تتعامل معهم في حياتك اليومية، سواء في المنزل أو المدرسة أو العمل أو الشارع، ولا ننسى احترامنا للمختلف مهما اختلفنا معه واحترامنا للبيئة وما بها من طير وحيوان وشجر.

والقيمة الرابعة الإخلاص في العمل الذي يجب أن نؤديه بكل أمانة وإتقان مع ما يتطلبه من قراءة وتحضير جيد، أما القيمة الخامسة فهي التسامح الذي يفتقده أكثرنا، ويُعدّ من أهم أسس بناء المجتمعات وتماسكها.

والقيمة السادسة هي الاستثمار الأمثل للوقت والمال حتى يكونا عوناً لي على تحقيق التوسع مستقبلاً في مشروعات الخير وإشاعة الرخاء. ولا ننسى قيمة الصبر سلاح الناجحين، هذه القيمة أحاول تعليمها لأبنائي وبناتي، فهي ضرورية لمن أراد النجاح.

القيم ضرورية لكل سكان المعمورة ليعيشوا جميعاً بحب وسلام بعيداً عن الحروب والمجاعات، قدرنا أن نعيش جميعاً على كوكب واحد على الرغم من اختلاف لغاتنا وثقافتنا، ولن يشفع لنا سوى الحب والتسامح والقبول على الرغم من الاختلاف.

- ألا يكفي أن نؤدي واجباتنا الدينية لتشمل كل القيم المطلوبة؟
- المشكلة يا أحمد، أننا أفرغنا الدين من كثير من قيمه الإنسانية، وجعلناه طقوساً وعبادات خالية من التأمل والتفكير في

الإنسان بوصفه كائنًا حيًّا له حقوق وواجبات، وكيف يكون سلوكه في البيت وفي العمل والشارع.

- وكيف نزرع القيم ونحن نعيش في مجتمع لا يطبق الكثير منها؟
- الأسرة هي أهم من يزرع القيم، ثم المدرسة التي يجب أن تكون بيئة مناسبة لتعلم القيم الجميلة وتطبيقها أفعالًا لا نصوصًا في المناهج فقط، ولا بد من إسهام الإعلام لنشر القيم السامية بأكثر من وسيلة.

وعلى المرء أن يستمر في تعلم قيم جديدة مدى الحياة، وأن يعلمها لأبنائه، فالقيم السامية هي طوق النجاة في الحياة الأسرية وفي عالم الأعمال، وهي التي تراقب الإنسان ذاتيًا، حين لا توجد مراقبة خارجية، حاول أن تفتش عن القيم التي ترتفع بك عاليًا، وتجعلك إنسانًا متميزًا ومؤثرًا في مجتمعتك، واعمل بها، فالناس لا تصدق إلا من تكون أفعاله كأقواله، هذه القيم ستكون عونًا لك على المزيد من النجاح، وستردعك عن الزلل وارتكاب المخالفات.

- ما تنادي به يا عمي، صعب أو شبه مستحيل في هذه المجتمعات.

- تعرف المثل القائل: «السّمك الحي هو الذي يسبح ضد التيار، أما الميت فيطفو، ويجرفه التيار» عادات المجتمع وقيمه تيار جارف من الصعوبة مقاومته، لكن القلة هم الذين يسبحون ضد التيار، وقد يغيرون اتجاهه.

سأتركك تذهب إلى الرياض، ولعلك تفكر في الكثير مما قلته
لك وأنت في الطريق إلى هناك، وعليك أن تكثر من طرح الأسئلة،
فهي أهم من تلقي الأجوبة الجاهزة.



الأسئلة قوة

من يَخْشَى السَّوَالَ يَخْجَلُ مَنْ
التَّعَلَّمَ.

حكمة عالمية

- عاد أحمد بعد أسبوعين وفي هذه المرة أحضر معه طفليه حسين وهيا، سلّم على عمه، وقال له: أتيت بأغلى ما أملك في هذه الحياة؛ ليتعرفا إلى من له الفضل في تغيير مجرى حياتي، لقد حدثتهما عنك كثيراً، قلت لهما: سأخذكما إلى من أمدني بأفكار مختلفة، وقد أمطراتني بالأسئلة الكثيرة عنك وعن الغاط بشكل عام.

- دعهما يسألان كما يحلو لهما، فالأسئلة هي الخطوة الأولى نحو المعرفة، بل هي التي تمهد الطريق نحو فهم وتحصيل ما يقال، ولولا الأسئلة لما كانت الأجوبة، وفي ثقافة الدول المتقدمة تُعدّ الأسئلة علامة قوة وثقة بالنفس يشجعون عليها، ويحثون الطلبة على طرحها ومناقشتها. وأسوأ طرق التعليم هي التي تخلو من الأسئلة، وتكتفي بإعطاء الطالب إجابات مقولبة جاهزة، وأقل المعلمين فائدة هو من يضيق بالأسئلة، ويعدّها مضيعة للوقت، تعليمنا متخم بالمعلومات التي تشكل معظم موادّه، مع أن بناء القدرات والتفكير الإيجابي هو ما يصنع الفرق، لكنه التعليم التقليدي الذي يقتل روح التساؤل والشك العلمي والتفكير المنطقي؛ لأنه ينسب كل الظواهر الغامضة إلى قوى غيبية، وهذا

يضع حواجز عميقة أمام البحث عن تفسيرات علمية وفضول
خلاق لسبر أغوار هذه الظواهر.

الشك واجب إلا في المسائل الإيمانية الخارجة عن نطاق القدرة
البشرية؛ لأن الشك في وجود الله مثلاً قد يوصل إلى العدمية والعبيثية
وانفلات القيم واضطرابات نفسية وعقلية.

حين يغيب السؤال الباحث عن الحقيقة لا يكون هناك مجال
للتمحيص والتحليل والشك والبحث الذي هو أساس فهم العلم.
يعجبني ما قاله الفيلسوف الأمريكي فولتن: «ابحث عن الحقيقة
حتى تجدها، فإذا وجدتها ابحث عنها كأنك لم تجدها».

- لدي يا عم، أسئلة كثيرة ولدى حسين وهيا الكثير منها، لكن
أخشى المقاطعة وضياح الفائدة.

- أحسنت يا أحمد، ولو تركتني لتحدثت كل الوقت، وفوّت
الفرصة عليك وعلى ابنك، وهذا خطأ شائع يرتكبه الكثير
من المعلمين والمربين والوالدين. يردد الناس مثلاً يقول:
«البدوي يمشي، وينشد» والمعنى هو أن البدوي يسأل كل
من يصادفه، يسأل حتى وإن كان يعرف الجواب، فقد علمته
الصحراء أهمية السؤال.

- هل يرد في ذهنك يا عم، الكثير من الأسئلة في أثناء القراءة؟
- نعم، فليس كل ما يكتب صحيحاً، فالكاتب إنسان يصيب
ويخطئ، وبعضهم قد يؤمن بشيء، ويرغب في نشره، أما أنا

فأسأل وأحلل وأحاول معرفة الشيء الصحيح، الأسئلة من أقوى وسائل التغيير؛ لأنها تستحث العقل على التفكير، ومتمى ما فكر العقل فلا خوف على الإنسان من الزلل، فأكثر المصائب يجلبها الإنسان لنفسه، حين يصدق كل ما يسمع، فيتبع الهوى، ويحيّد العقل، وينقاد بسهولة لمن يلبسه خطام الجهل، ثم يقوده حيث يشاء.

- وكيف نتخلص من كثرة المعلومات المغلوطة التي يتداولها الناس في مجالسهم؟

- شكرًا على هذا السؤال المهم، وسوف أحاول أن أجيب قدر المستطاع، ففي كثير من المجالس يتحدث البعض عن معلومات مغلوطة يتلقفها المستمعون على أنها حقائق لا تقبل الشك، لكن حالما تبدأ الأسئلة بكل شفافية تبدأ تعريتها وكشفها على حقيقتها، مع الأسف ثقافتنا تعتمد على المشافهة، ولا تعتمد على الأسلوب العلمي الذي يمحّص، ويحلل قبل التسليم بصحة المعلومة. وقد مرّت الأمة الإسلامية بعصور انحطاط شلّت القدرة على التفكير، وحيدّت العقل، الدين الأسئلة، ورسخت الجمود والتقليد، وحيدّت العقل، الدين ينادي بالتفكير وإعمال العقل والأخذ بأسباب الحياة حتى يتخلص المسلمون من تخلفهم، الهدف من قراءة التاريخ هو الربط المنطقي السليم مع الواقع لنخرج بثوب أكثر حداثة متجاوزين أخطاء الماضي، الهدف أخذ العبر، وليس تقديس

التاريخ والعيش فيه، ولو قرأنا التاريخ جيداً لعلمنا أن لكل عصر محاسنه ومساوئه وأخطائه، فالإنسان هو الإنسان بغرائزه ونقاط قوته وضعفه.

- التفت حسين إلى والده، وقال بصوت منخفض، في الفصل غضب علي المعلم، حين أكثرت الأسئلة.

- هل سمعت ذلك يا عمي؟

- نعم، وهذه من عقبات التعليم عندنا، نريد أن نحشو أدمغة الطلاب بالمعلومات دون أن نعطيهم مجال التفكير فيها وتمحيصها وتطبيقها؛ لذا فشل التعليم في مهمته الرئيسة، وهي إيقاظ العقل من سباته، وإخراج أفضل ما لدى الطلبة، وترسيخ الأسس السليمة لتربية صحيحة متوازنة، الأسئلة مطارق تطرق على أبواب العقل لتوقظه من سباته، على المعلمين أن يجعلوا التعليم متعة فيه الكثير من الأسئلة التي تجعل الطالب محوراً، وعلى الوالدين أن يجيبوا عن أسئلة أبنائهم دون وجل، وأن يشجعوهم على توجيه الأسئلة، فمن يَسْكُتْ يُسْكُتْ عنه، ويضيع فرصة المعرفة.

أيضاً عليك أن تسأل من تثق به لمزيد من التوجيه والنقد؛ حتى تتلافى الأخطاء وتصححها، فالإنسان لا يرى عيوبه، وحتى لو لم يعجبك الجواب الذي تتلقاه، فلا يكن رد فعلك غاضباً أو متسرعاً، فقد يكون المجيب على حق، ويريد لك الخير.

العالم مليء بأصحاب النفوس الضعيفة الذين بنوا حياتهم على خداع الآخرين؛ لذا عليك أن تلجأ لأصحاب الخبرة، وتسألهم المشورة، فإن كانت أمورًا مالية فعليك أن تسأل البنك الذي تتعامل معه، وإن كان مرضًا فتوجه بأسئلتك إلى الطبيب المختص، وهكذا في كل أمور الحياة.

كم أسعدني مجيء أبنائك معك، وهذا دليل حرصك عليهم وسعيك لنجاحهم، وأنا على يقين أن هذا اليوم سيكون محفورًا في ذاكرتهم مدى الحياة، سوف نأخذهم إلى المكتبة ثم إلى المزرعة، وبعدها سنأخذهم في رحلة قصيرة إلى البلدة القديمة ومتحفها؛ ليتعرفوا إلى حياة الآباء ببساطتها وشظف عيشها، وسوف أحاول أن أجيب عن أسئلتهم، وإن كنت لا أملك الجواب لكل شيء، بل قد أسألهم أنا فيما يبدعان به.

- نعم، يا عم، فهما خبيران في الأجهزة الذكية.



الأبواب تفتح لمن يطرقها

- لماذا يا أحمد، طرقت الباب لما أتيت إلى بيتي؟
- كي تفتح لي!
- ماذا لو وقفت بالباب دون أن تطرقه، هل سيفتح لك؟
- لا، يا عمي، كيف ستعلم؟
- الساكنون داخل المنزل لا يعلمون أنك تنتظر في الخارج،
الأبواب تفتح لمن يطرقها، وهكذا الأرزاق والفرص، من
يجلس في بيته لن يعلم به أحد، ولن يمد له يد المساعدة، حين
تقاعدت عاهدت نفسي على مواصلة العمل، كتبت كتاباً،
وحين حاولت نشره اعتذرت كثير من دور النشر، لكنني
واصلت المحاولات، ونشرته، وأهديته إلى أكثر من مسؤول
وأديب وكاتب، قررت أن أعطي محاضرات للطلبة دون
مقابل، حتى هذا النشاط الخيري يحتاج إلى جهد وبحث،
اتصلت بمديري المدارس والجامعات، ورجوتهم أن يعطوني
فرصة للحديث مع الطلبة عن تجربتي، كنت مهتماً بالتحدث
إلى الطلبة المبتعثين للخارج، ذهبت إلى المسؤول في وزارة
التعليم العالي، وأبدت له رغبتني في إعطاء الطلبة محاضرات
في أماكن تجمعهم خارج المملكة، قلت له: أريد خطاباً منكم
يحولني بذلك، وأما التكاليف فسوف أدفعها، وأعتبر نفسي

في إجازة، رحب بي، ومنحني الخطاب ومعه تذكرة إلى نيوزيلندا البلد الذي لم يسبق أن زرتة. كانت رحلة ناجحة بكل المقاييس، وزرت خلالها عشر جامعات، وفي العام الثاني ذهبت إلى أستراليا، وزرت أكثر من عشرين جامعة واثني عشر ناديًا للطلبة السعوديين. هذا مثال بسيط على أن من يطرق الأبواب تفتح له، قد لا يفتح لك الباب الأول، لكن عليك ألا تيأس، واطرق أبوابًا أخرى دون يأس.

- لكن أرى كتابًا ومفكرين وفلاسفة وعلماء يستدعون من قَبْل دور نشر أو صحف ليكتبوا لديهم، أليسوا ممن فتح لهم الباب دون طرق؟
- لا، يا أحمد، إنهم لم يستدعوا من فراغ، فقد طرَقوا الأبواب كثيرًا حتى فتحت لهم، لقد بذلوا الكثير من الجهد لإثبات أنفسهم علميًا وفكريًا بوسائل شتى.

كل تجربة يمر بها الإنسان تُعدّ ذات قيمة، ويجب أن يهتم بها صاحبها، ويسجلها، ويعطيها لغيره ليستفيد منها، وفي لقاء مع بعض المتفاعدين قلت لهم: لديكم تجارب ثرية، مررتم بنجاحات وإخفاقات كثيرة، فَلِمَ لا تنقلونها إلى غيركم؟ قال أحدهم: لم يطلب منا أحد ذلك، فكيف نقدمها؟ أجبتة: قدمها، ولو للفصل الذي يدرس فيه ابنك، ولعلك تقدمها بعد ذلك لبقية طلبة المدرسة. تطوع لجمعية خيرية دون أن يطلب منك ذلك. المهم أن يستمر الإنسان في عطائه إلى آخر يوم في حياته.

